تـأثير الأديـان على فنون العمارة القديمة

د. ثريا محمد راشد
كلـــــية الفنـــون
جامعة صبراتة

ملخص الدراسة:

أثر الدين على فنون العمارة القديمة في جميع مراحل تطورها منذ ظهور الإنسان على وجه الأرض وعبد آلهة كثيرة ومتعددة في أشكالها ومعالمها، ونتج عن هذه العبادة ما يسمى بالعمارة الدينية، التي تجسدت في المعابد والمساجد والأضرحة، كما هو في بلاد ما بين النهرين والحضارة اليونانية القديمة والحضارة الرومانية والفرعونية وكذلك الحضارة البيزنطية والإسلامية، وبما تميزت به كل حضارة من عمائر دينية وصروح ضخمة، عكست هوية كلامة ومعتقداتها وطرزها المعمارية وإيمانها الراسخ في المعتقد الذي كانت تؤمن به، لأن تأثيرا لدين كان محركاً قوياً في بناء صروح العبادة ونوعية البناء ومناسبته لكل نوع من أنواع الطقوس الدينية حسب كل زمن ومكان، ويظهر تأثير الدين الإسلامي على البناء في العمارة الإسلامية الدينية وقمة التخطيط والجمال الذي أضافه المهندس المسلم على عمارة المسجد والأضرحة والمزارات، والتطور الكبير الذي شهدته هذه العمارة عبر فترات متعددة ودول ومناطق مختلفة، الذي يدل على عبقرية وذوق المهندس المسلم الذي أبدع في ذلك نظرا لتعلقه بدينه وخالقه .

Abstract

The impact of religion on the arts of ancient architecture in all stages of its development since the appearance of man on the face of the earth and the worship of many and multiple gods in their forms and landmarks, and this worship resulted in the so-called religious

architecture, which was embodied in temples, mosques and shrines, as it is in Mesopotamia, the ancient Greek civilization, the Roman and Paranoiac civilization, as well as The Byzantine and Islamic civilization, and with what was characterized by each civilization of religious buildings and monumental monuments, reflected the identity of Kalameh, its beliefs, its architectural styles and its firm belief in the belief in which they believed, because the influence of religion was a strong driver in building edifices of worship and the quality of construction and its suitability for each type of religious rituals according to every time and place. The influence of the Islamic religion on building is shown in Islamic religious architecture, the top of planning and the beauty that the Muslim engineer added to the architecture of the mosque, shrines and shrines, and the great development that this architecture witnessed across multiple periods, countries and regions, which indicates the genius and taste of the Muslim engineer who excelled in this because of his attachment to his religion and his Creator.

مقدِّمة الدراسة :-

لقد كان الإنسان في بداية الخلق يعيش في الكهوف المنحوتة طبيعيا في الجبال، و استعمالها كمأوى له من الحيوانات والتقلبات الجوية، بعد ذلك بدأ الإنسان يبنى بيوتا من القش على شكل مخروط قمته بالأعلى محاولا تقليد شكل الكهف، ثُم تطور الأمر وأصبح يغطى و يدعم قاعدة المنزل بالطين، لتفادي الانهيار و لعزل المنزل حراريا عن الخارج، و ما زال هذا الأسلوب متبعاً في بعض المناطق الأفريقية حتى الآن، أما في البلاد التي لا يتواجد بها الطين فبنوا بيوتهم من جلود الماعز والغنم والحيوانات الأخرى، وكانت الخيام خفيفة يسهل فكها وحملها كما في الجزيرة العربية، أو سميكة كما في منغوليا و آسيا الوسطى، ثم بنى الإنسان بيته من الطين (اللبن) في المناطق الزراعية، واخلطوا معه القش والتبن لكي يزيد من متانة المباني، و تغطى البيوت القديمة بجذوع الأشجار في بعض الأحيان، وأصبح الإنسان يتطور في البناء شيئا فشيئا فاستعمل الحجارة نتيجة لتوافرها بالجبال والمحاجر، بذلك ظهرت المنازل والمعابد والقلاع والقصبات والأسوار، وكانت تلك المباني الحجرية عاملا أساسيا في الدفاع عن المدن وتعد كل الحضارات القديمة حضارات حجرية، من الحضارة الفرعونية مرورا بالحضارة البابلية والصينية والأشورية والإغريقية والرومانية والحضارة الهندية واليابانية وصولا الى الحضارة الإسلامية وحضارة العصور

الوسطى، ويتلخص تأثير الدين على فنون العمارة القديمة في المعابد والمعابد الجنائزية والكنائس والمساجد والأضرحة والمزارات الدينية [1].

مشكلة الدراسة : -

تعد فنون العمارة القديمة من الفنون ذات الأهمية الكبرى المهمة والبارزة في توثيق مسيرة حياة الإنسان عبر العصور المختلفة، ولما لها من دور كبير في الماضي والحاضر على حياته الخاصة والعامة وثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، فإن الباحثة تهدف من إجراء هذه الدراسة إلى تقديم مقترحات قد تساعد على كشف وتوضيح بعض الجوانب التي ترى أنها يمكن أن تسهم في زيادة إيضاح تأثير الأديان على فنون العمارة القديمة، وتتلخص مشكلة الدراسة في الآتي : -

1- ما مدى فاعلية تأثير الجانب الديني على فنون العمارة القديمة ؟

2- هل ارتباط الدين بفنون العمارة القديمة له تأثيرات ودلالات تميز طرز بنائها عن الفنون المعمارية الأخرى ؟

3- هل حققت العمائر الدينية بشكل خاص ما يرمي إليه الدين من نزعات روحية في كل عصر من عصورها المختلفة ؟

4- هل ارتبطت فاعلية توظيف فن العمارة بالجانب الديني في اختلاف البناء بين عمارة دينية وأخرى حسب نوع الديانة ؟

5- ما هو التطور الذي حدث في العمارة الدينية خلال العصور المختلفة ؟

فروض الدراسة : -

1- إن نشأة فنون العمارة كانت وظيفتها في بداياتها الأولى حماية للإنسان مما يحيط به في الطبيعة، ثم تطورت حتى شملت الجوانب الدينية .

2- قد يختلف تأثير الأديان على فنون العمارة القديمة في الشكل حسب كل حضارة ولكنه موحد في المضمون .

3- فنون العمارة وتأثير الجانب الديني فيها في معظم المباني القديمة كانت عاملاً مهماً من عوامل تكوين بيئة المجتمع وتراثه الثقافي .

4- الشكل المعماري الديني لفنون العمارة في مختلف العصور يتجه بالإنسان إلى عالم بعيد عن الواقع المعيش، ويفرض عليه طقوسا معينة تجعله يخضع لإرادة غيبية بالتقديس والعبادة يشعر بها داخل نفسه .

5- تأثير الجانب الديني على فنون العمارة قدم إيحاءات واتجاهات للإنسان ليميز بين ما هو خير وما هو شر خلال حياته المعيشية، في ضوء علاقته بالمعبود .

أهمية الدراسة : -

ترى الباحثة أنَّ أهمية هذه الدراسة تكمن في الأتي : -

1- تفسر أسباب وبواعث نشأة فنون العمارة وأهميتها للإنسان في حياته المعيشية عبر عصور التاريخ القديم .

2- إن الجانب الديني أثَّر في فنون العمارة القديمة وأصبح مصدراً رئيسياً لرؤية الإنسان الكليّة بكافة مكوناتها وما ترمز إليه من علاقات تربط العبد بالمعبود سوى في حياته أو مماته .

3- تبُرز الدراسة مراحل التطور التي مرت بها فنون العمارة الدينية القديمة في العصور المختلفة من حيث الشكل والدلالة والوظيفة الجمالية عبر أماكن مختلفة .

4- تسلط الضوء على تأثير الجانب الديني في تصاميم فنون العمارة وتميز العمارة الدينية عن غيرها في أساليب البناء والطرز المعمارية المختلفة .

5- توضّح أنّ فنون العمارة الدينية القديمة وظفت في بنائها للارتباط بالسحر والإحساس بالرهبة تجاه المعبود الذي ينتج عن إدراك حسي يحرك المشاعر وعلم يدعو إلى التفكير والتأمل .

6-فنون العمارة القديمة شاهد وتاريخ مرئي لحضارات الانسان .

<u>أهداف الدراسة</u> : - تهدف هذه الدراسة إلى الآتي :

1- التعرُّف على مدى فاعلية تأثير الجانب الديني على فنون العمارة القديمة .

2- إثبات أنّ ارتباط الدين بفنون العمارة القديمة له تأثيرات ودلالات تميز طرز بنائها عن الفنون المعمارية الأخرى .

3- الكشف عمَّا حققته العمائر الدينية بشكل خاص لما يرمي إليه الدين من نزعات روحية في كل عصر من عصورها المختلفة .

4- التعرُّف على ارتباط فاعلية توظيف فن العمارة للجانب الديني في اختلاف البناء بين عمارة دينية وأخرى حسب نوع الديانة .

5- إبراز التطور الذي حدث في العمارة الدينية خلال العصور المختلفة .

منهج الدراسة : -

اتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، لتفسير وتحليل تأثير الأديان على فنون العمارة القديمة وفترات تطورها عبر حقب زمنية مختلف وأماكن متباعدة، وتتوخّى الوصول إلى حقائق علمية ومعلومات لم تكشف عنها دراسات سابقة بمنهج علمي دقيق، مع الاستعانة بالمصادر والكتب والرسائل العلمية في هذا المجال ووسائل الإعلام المنشورة والمُحكّمة .

حدود الدراسة :

تقتصر حدود الدراسة على تحليل تأثير الأديان على فنون العمارة القديمة واختلاف طرزها عبر أماكن وحُقب زمنية متعددة .

المصطلحات :

1-الدين :

أ-الدين (الجمع أديان،المصدر دان يدين، عبادة الله وتقديسه،عبادة القوى الطبيعية الخارقة وتقديسها،المذهب، السيرة، العادة، الحال، الشأن، القضاء، الطاعة، الورع، التقوى، .....) [2].

ب-الدين هو (الطاعة، تقول دان له بدين دينا أي أطاعه، ومنه الدين والجمع أديان) [3].

ج- تعّرف الباحثة الدين بأنَّه (عبادة روحية تربط الإنسان بخالقه ينتج عنها وازع داخلي يحدد سلوكياته وأهدافه في الحياة الدنيا والآخرة) .

2-الفن :

أ-الفن (فن، يفن فنا، الشيء زيّنه، الجمال، والفن جمعه أفنان وفنون وجمع الجمع أفانين، والفن تعبير الفنان بإنتاجه عن مثل الجمال الأكمل، وهو كذلك القواعد الخاصة بحرفة أو عمل، وهو النوع من الشيء، والعناء والتعب، و(فنون الشعر) بأنواعه،

و(الفنون الجميلة) التصوير والنحت والموسيقا والشعر وفن البناء والزخرفة والرقص والرسم، و(الفنون اللذيذة) الرسم الموسيقيِ الرقص وما إليها .

(الفنون الحرة) هي الفنون التي يمثل فيها الذكاء الدور الأول، (الفنون اليدوية) هي الفنون التي يمثل فيها عمل اليد الدور الأول) [4].

ب–الفن (الفن واحد، والفنون هي أنواع، والأفانين الأساليب وهي أجناس الكلام وطرقه، ورجل متفنن، أي ذو فنون، وافتنّ الرجل في حديثه وفي خطبته بوزن اشتقّ جاء بالأَفانين) [5].

ج– الفن (مظهر من مظاهر الحياة النفسية، التي تنبض بالحياة وتكشف عن إحساس الفرد، ويجمع بين الدقة في التفكير والجمال في التعبير، فهو من مظاهر إشباع الرغبات المكبوتة في اللاشعور) [6].

د– وتعرّف الباحثة الفن بأنه (العمل الذي يخرجه الإنسان من عالمه الخيالي إلى العالم الحسي الواقعي ليحدث تأثيرا في نفس المتلقي ينتج عنه تنظيم لتأثيراته الحسية مما يدفعه للانفعال والإعجاب بقيمته).

هـ– ويعرفه الدكتور/ رمضان المهدي " بأنه ما ينتج عن سلوك الانسان السوي " أي أن الفن سلوك إنساني .

3–العمارة :

أ–يعرف جبران العمارة (مصدر عمر يعمر، البنيان، البناية الضخمة، الحي العظيم، ما يحفظ به المكان) [7].

ب–تعريف الباحثة العمارة (هي علم وفن تصميم الحجوم والفراغات المخصصة لاحتضان الوظائف والأنشطة الإنسانية الاجتماعية والدينية المتنوعة، فهي تصميم بيئة تتفاعل وتتكامل مع البيئة المحيطة وتعكس في سماتها وأشكالها الإنجازات التقنية والحضارية والتطلعات الجمالية والروحية والقدرات المادية للمجتمع، بحيث يتناسب شكل البناء مع الوظيفة والمنطقة المحيطة ليغطي احتياجات مادية أو معنوية روحية.

الدراسات السابقة :

الدراسة الأولى / لهويدة حسان، 2016 م، سمات وأنماط العمارة الدينية في العراق القديم (الزقورة أنموذجاً)، من خلال هذه الدراسة توصلت الباحثة إلى النتائج التالية : –

1- كان للعمارة الدينية أهمية قصوى لدى شعب الرافدين أهلتها لتأخذ الحيز الأهم في مستوطناتهم ومدنهم، الأمر الذي يعكس مكانة الفكر الديني عند ذاك الشعب .

2- شهدت تلك العمارة تطورا كبيرا مع بروز الملامح الحضارية للعراق القديم وتنامي فكره الحضاري .

3- أدى ذلك التطور والاهتمام بالعمارة الدينية إلى ظهور نمط من الأبنية الدينية كان لها المكانة الكبرى في مدن العراق القديم، وتمثلت تلك الأبنية بالزقورات التي أصبحت السمة البارزة للعمارة الدينية في بلاد الرافدين .

4- وضعت للزقورات العديد من الفرضيات والآراء التي لم تستطعْ أيٌّ منها الوصول إلى حقيقة مقنعة بشأن أسباب ظهورها .

5- لكن من المؤكد أنّ الزقورة هي نتاج طبيعي لجملة من العوامل الطبيعية والفكرية أسهمت بمجملها في ظهور الزقورة وإعطائها نمطيتها الخاصة .

6- وترى الباحثة أنّ الزقورة خصصت كمعبد علوي ينزل إليه الإله من السماء وهي ما يُسمّى محطة استراحة للإله، وكذلك خصصت كرصد فلكي عند العراقيين القدماء .

الدراسة ثانياً / إيمان عيد، 1993 م، (المضمون الإسلامي في الفكر المعماري)، وتوصلت الباحثة إلى عدة نتائج أهمها : -

- الفكر الإسلامي وأثره في تحديد مصادر الفكر المعماري الإسلامي وأصوله، وأثره في تحديد ملامح العمارة الإسلامية مثال ذلك الوحدة التي نبعت من وحدة العقيدة ووحدة الفكر الإسلامي، والجمال في القرآن وأثره في التفكير والتأمل في خلق الله، والرمز في القرآن وانعكاسه جماليا في العمارة الإسلامية والتجريد الذي استخدم في العمارة للتوصل إلى تحقيق قيمة جمالية من خلال تجريد الأشكال الطبيعية، والاتزان الذي ارتبط في الفكر الإسلامي بالاتزان الكوني، والحركة وارتباطها بحركة الكون والتجانس بين الشكل والمضمون.

- وقد أكدت هذه الدراسة أنّ هناك فارقا جوهريا بين الفكر المعماري الغربي والفكر المعماري الإسلامي، يتحدد في أنّ الغرب قد تناول القيم والمبادئ والمضامين تناولا ماديا، أما الإسلام فقد أحدث علاقة توازن بين الشكل والمضمون من خلال تناول القيم تناولا مرتبطاً بالعقيدة مع مراعاة الاحتياجات المادية الإنسانية في نوازن تام .

الدراسة ثالثاً / أكرم محمد عبد كسار،2014 م (فن العمار ببابل في عصر" نبو خذ نصر") وقد توصل الباحث فيها إلى عدة نتائج أو ما يسميه المظاهر المعمارية المميزة لعمارة بابل في هذه الحقبة من التاريخ أهمها : –

1– إنّ المواد الإنشائية الأساسية التي شيدت بها عمارة بابل اللبن والآجر والتي امتازت ببساطتها وصغر حجمها وضعف مقاومتها للعوامل الجوية الطبيعية، والشيء الجدير بالاهتمام أنّ المعمار البابلي استثمر هاتين المادتين أفضل استثمار في إقامة تكوينات معمارية فخمة حققت قدرا ضخما من فن العمارة العالية بأشكال منسقة ومتناغمة، أضفت عليها الفخامة والجمال و أبعدتها عن أشكال هندسية مجردة رتيبة .

2– استعمل سكان العراق القديم اللبن والآجر، فكان لإبداعهما واختراعهما أثر مهم في تطور فن العمارة، وأول استخدام للبن يعود إلى الألف السادس قبل الميلاد حيث استُعمل في تشييد أبنية القرى الزراعية المتطورة في شمال ووسط العراق، وقد اقتبس استعماله من جانب الكثير من الشعوب القديمة .

3– خاصية بروز جدران المعابد من العناصر المعمارية في بابل، وبروز وجوهها الخارجية أو ما يسمى بالطلعات والدخلات هي ظاهرة معمارية لا تزال شائعة في بعض الأبنية الحديثة على أنها تراث معماري من حضارة وادي الرافدين، وطبّقت بنطاق واسع في عمارة بابل ولم تقتصر على الأبنية الدينية .

4– من المظاهر العمرانية الأخرى، ظاهرة الميل، إذ عمد المعماري البابلي إلى جعل ميل في معظم الجدران إلى الداخل، وهذا المبدأ الذي يطلق عليه في فن العمارة مصطلح الميل، والهدف منه إكساب البناء رشاقة فنية في مظهر الجدران و الأبراج، كما أنه يكسب تلك الأبنية متانة وقوة بخلاف لو أنها شيدت بجدران عمودية (شاقولية) إذ أنها تتعرض للانهيار السريع .

التعليق على الدراسات السابقة :

1– اختصّت الدراسة الأولى بتحليل أنماط وسمات العمارة الدينية في العراق القديم، بينما اختصت الدراسة الثانية بمضمون الفكر الإسلامي في العمارة، وتوجّهت الدراسة الثالثة إلى تحليل مظاهر فن العمارة ببابل في عصر نبو خذ نصر، بينما اتجهت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء بصفة عامة وتحليل تأثير الأديان على فنون العمارة القديمة .

2- ارتبطت الدراسات السابقة بدراسة وتحليل فنون العمارة في مناطق وأزمنة محددة، بينما تتناول هذه الدراسة فن العمارة القديمة في عدد من الأماكن والأزمنة المختلفة ولم تقتصر على حضارة إنسانية بعينها .

3- تختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة، بتتبّع نشأة العمارة وظهور العمارة الدينية وتميزها عن العمارة المدنية بما يتمشّى مع الطقوس الدينية لكل زمان .

4- تتخذ هذه الدراسة من الجانب الديني محركاً فعالاً لتحليل أثره على العمارة، من حيث الشكل والمضمون حسب كل ديانة .

الإطار النظري :-

بدأ الإنسان في مراحله الأولى يفكر في الكون والخلق، وأراد أن يُعبّر عن حبه للأرض فقدّسها وعبدها، وصنع تمثالاً لها من الطين على شكل امرأة، وتتوالى السنون وتدخل البشرية في مرحلة الألفية الثالثة قبل الميلاد وهي المرحلة التي انعكست فيها الرؤية السياسية الدينية في تخطيط وعمارة المدينة، فكان لكل مدينة معبد خاص وكذلك إله خاص، وكان الإله حامي المدينة وله حق السيادة عليها، ويعد المعبد مسكن الآلهة ومركز الحياة الثقافية ومحور الحركة والعمران والاقتصاد ومظهر نشاط المجتمع في جميع نواحي الحياة،وظهرت العمارة الدينية في العصر الحجري الحديث ظهرت في جنوب غرب آسيا بعد فترة قصيرة من 10000 قبل الميلاد، ومن هناك انتشرت عمارة العصر الحجري الحديث المبكر في جنوب شرق الأناضول وسوريا والعراق بحلول 8000 قبل الميلاد، وظهرت لأول مرة في جنوب شرق أوروبا بحلول 7000 قبل الميلاد، وأوروبا الوسطى 5500 قبل الميلاد، وتتميز العمارة القديمة بالتوتر بين العالم الإلهي والبشري، إذ كانت المدن ترمز إلى المساحة المقدسة، وواصل المعبد أو القصر هذا النظام من خلال العمل كمنزل للآلهة، سواء أكان كاهنًا أو ملكًا، وتأسست الإمبراطوريات في منطقة الشرق القديم وفي وادي الرافدين ووادي النيل، وكان الاعتقاد السائد بأن الآلهة قد خلقت البشر حتى يقوموا على خدمتهم، وأنّ الإنسان بحاجة إلى الحكام الذين تختارهم الآلهة لتنفيذ قوانينها المقدسة[8] .

العمارة الدينية في بلاد ما بين النهرين /

بعد أن استوطن البشر وبنوا لأنفسهم المستوطنات، ظهر بناء نماذج من المعابد وهو عبارة عن غرفة واحدة صغيرة، ثم طُورّت المعابد في العمارة السومرية باستخدام المزيد من المواد والتقنيات المتعددة، مثل الدعامات والتعطيل و نصف الأعمدة، واشتهرت بلاد ما

بين النهرين القديمة ببناء المباني الطينية وبناء زقورات، وهي معابد دينية صُنعت لعبادة الآلهة، وكلمة زقورات عبارة عن شكل مدمج يطلق على الأبراج الصلبة من الطوب الطيني، وهي مشتقة من الفعلzaqaru لتكون عالية، وتوصف هذه المباني بأنها مثل الجبال التي تربط الأرض بالسماء، وهي أبراج هرمية ضخمة بُنيت لأول مرة في المدينة السومرية ومن ثم في بابل والمدن الآشورية والعيلاميين، وأشهر الزقورات الزقورة الكبرى في أور قرب الناصرية في العراق، وزقورة جغا الزنجبي في خوزستان، وتعد هذه أقرب الأمثلة على الزقورات التي يعود تاريخها إلى فترة العبيد العاشرة، خلال الألفية الرابعة قبل الميلاد [9].

تطورت المعابد السومرية من معابد العبيد السابقة التي تم تدميرها وبناء معابد جديدة على أساسها، وكان المعبد الجديد أكبر وأكثر تفصيلا من المعبد السابق، وخُطّط المعبد على شكل مستطيل وكان الجزء العلوي منه عبارة عن شقة، وكانت الزقورة عبارة عن هيكل هرمي، وشكّل الطوب المخبوز في الشمس جوهر الزقورة مع تبديلات من الآجر المشوي في الخارج، وعادة ما كانت الواجهات من الزجاج الملون بألوان مختلفة، وكانت أسماء الملوك في بعض الأحيان محفورة على هذا الطوب، ويتم الوصول إلى الضريح من خلال سلسلة من المنحدرات على جانب واحد من الزقورات، أو منحدر دوامة من قاعدة إلى القمة، ظهرت الزقورات الكلاسيكية في الفترة السومرية بركائز واضحة من الطوب المغلّف زجاجياً والضيّق في الارتفاع، وزقورة أور هي أفضل مثال على هذا النمط، وأكثر البقايا المعمارية البارزة من عمارة أوائل بلاد ما بين النهرين، هي مجمّعات معبد الوروكة والمعابد والقصور التي بنيت في عصر الأسرات المبكر في وادي نهر ديالي، مثل خفاجة و أخبر الأسمر سلالة أور الثالثة [10].

أما شكل المعابد الأشورية فجميعها على شكل مستطيل، تقام على قاعة مربعة عادية تحمل قبة ثمانية أو دائرية، وتظهر القباب بشكل متنوع وهياكل تشبه البرج تتصاعد من قاعدة المبنى المربعة، وابتكار القبة في المعابد القديمة كان بحدود 6750 ق.م، ويرجع الى بداية عهد الأبنية التي لا تزال تستخدم في القرى الآشورية، أما المداخل فهي عبارة عن بوابات مقوّسة كبيرة تحيط بها أبراج مربعة وهذه الأبراج لها أسوار متداخلة تماما، ولكن في أرض الكلدانيين هناك بعض البقايا من الأنقاض التي شكلت أبنية معابدهم، وأهمها وأكثرها إثارة معبد نابو في بورسيبا بالقرب من بابل، والذي تم إعادة بنائه قبل نبو خذ نصر [11].

، وفي (أريدو) أنتقل المعبد من نظام البناء الأرضي إلى نظام المصطبة البدائي الذي تحول في العهد الأكدي إلى ما يعرف بالزقورة التي صارت علامة فارقة للمعابد

الرافدية، ومنها انتقّل إلى مصر إبان العهد الأكدي حيث تم الاستفادة من هذا النظام في بناء هرم صقارة المدرج الذي يعد أقدم أشكال الأهرام المصرية، ولهذا نجد أن الزقورات القديمة كانت تحتوي على قباب مذهبّة وأشهر تلك القباب قبة (زقورة أور) لقد ابتكر المعماري العراقي أسلوباً في الخداع البصري، حيث وجد أن الخطوط العمودية عندما ينظر إليها عن بعد توحي بالانحناء نحو الداخل فتبدو مقعّرة، ولهذا صمموا الجدران الخارجية للزقورات ومنها زقورة(أور) مع ميل أو انتفاخ وسطي غير محسوس إلى الخارج، مما يجعل الرائي الذي يقف على بعد من الزقورة يرى جدرانها مستقيمة توحي بالصلابة والرسوخ، وتُدعى هذه الخاصية بخاصية التحدبEntasis ، الذي يكسب الزقورة ارتفاعا ظاهرياً في جدرانها وامتدادا وهمياً لأضلاعها، وقد قلّد الإغريق هذا الأسلوب، ولكن بعد ما يقرب من ألفي عام، ولعل خير مثال على ذلك أعمدة معبد البارثينون، هيكل الالهة أثينا الذي يعد من أبدع مباني الأكروبولس، لذلك يمكن القول أنّ العمارة السومرية عمارة دينية تركزت بشكل رئيسي على بناء المعابد، ومعظم المعلومات عن عمارة ما بين النهرين مستمدة من العمارة الدينية وليست من العمارة الدنيوية[12].

العمارة الدينية الإغريقية /

الإغريق في ديانتهم اعتمدوا على عبادة الأشخاص أو الظواهر الطبيعية، وكانت لكل منطقة عبادة معينة وأعياد خاصة بها،وهناك أثار لمعتقدات وعبادات أخرى تعتمد على عبادة الأبطال، وكان الرهبان والقساوسة هم الذين يقرّرون ذلك وربما لمدة معينة للرجال والنساء والأبطال وبعد ذلك تنتفي عنهم هذه الصلاحية ويعودون مرة أخرى لطبقة الشعب، وقد كان للدين تأثير كبير على الإغريق مما ظهر بوضوح في معابدهم وبيئتهم الدينية، وتعدّد الالهة لدى الإغريق جعل معابدهم متميزة وذات طابع خاص بها، ولقد حاول الإغريق أن يصلوا للكمال المعماري في هذه المباني من خلال النسب الذهبية والمقاس الإنساني، وقد ظهرت المعابد الإغريقية بعد تولي بركليس الحكم في عام 480 ق . م، وشيدت على قاعدة تتكون من ثلاث درجات، فالمعبد عبارة عن قاعدة مستطيلة الشكل تحتوي على حجرة داخلية تسمى بالهيكل، بها تمثال الإله أو الآلهة، كما احتوت بعض المعابد الكبيرة على حجرتين أو ثلاث،ويحيط بالقاعة أو الخلوة رواق خارجي إما على جانبي المدخلين أو على جوانبه الأربعة، ويتجه مدخل المعبد نحو الشرق بحيث تتصل أشعة الشمس على تمثال الألهة، والمدخل المقابل يقع في الجهة الغربية، وهي كثيرة الأعمدة من الخارج يحيط بها فضاء

فسيح، ومعظم المعابد كانت خالية من النوافذ معتمدة على أشعة الشمس التي تدخل من الباب الشرقي، وتنقسم المعابد من حيث تصميمها بالنسبة إلى الأعمدة الخارجية إلى أنواع متعددة، منها عمودان أماميان على واجهة المدخل للمعابد الصغيرة أو أكثر من صف واحد للعمودين على المدخلين، أو أعمدة مصفوفة على الجوانب الأربعة، وقد تكون الصفوف رباعية أو سداسية أو ثمانية وذلك للأعمدة الأمامية، أما الجانبية فغير محددة ويلاحظ أنّ عددها ضعف عدد الأعمدة الأمامية[13] .

والعمارة الإغريقية القديمة، كانت أول معابدها مصنوعة من الطوب (اللبن) على أساس حجري، وكانت الأعمدة والبنية العامة من الخشب وفتحات الأبواب أما الأعمدة الركنية كانت مثبتة بألواح من الخشب، وكذلك حوائط الطين اللبن كانت مقواة بأعمدة خشبية، واستعمل الحجر الجيري والرملي في بناء المعابد مع تغطية الحوائط بطبقة من مسحوق الرخام، ومنذ بداية القرن السادس قبل الميلاد اسْتُخدام الحجر في المعابد وتغيرت القواعد الأساسية للعمارة، ولكن بناء المعابد الإغريقية أضمحل منذ بداية الفترة الهلنستية وتوقف بناء المعابد الجديدة حتى القرن الثاني ق.م، الذي شهد إحياءً لعمارة المعابد بسبب تأثير المعماري (هيروموجينيس) الذي أعاد تعريف مبادئ المعابد الأيونية نظرياً وعملياً، والمعابد الإغريقية منشآت مبنية لاحتواء تماثيل الآلهة والمراسم والطقوس التي كانت تتم خارج المعبد، وكانت مبنية فقط بهدف خدمة الآلهة المتمثَلين على هيأة تماثيل موجودة بمركز المعبد وليس الناس، لذلك كان يسمح فقط للكهنة بتأدية الطقوس داخل المعبد نيابة عن الشعب، الذي سمح له فقط بالإتيان بالقرابين والمشاركة في الاحتفالات الدينية خارج المعبد، وكان الإغريق يشعرون بعظمتهم الفنية فشيدوا المعابد وصمموها على أن ترى من جميع جوانبها بنفس الجمال والدقة، ولذا كانت المعابد قائمه بنفسها يحيط بها الفضاء الفسيح، وكان مدخل المعبد يواجه الشرق تبعا لمعتقداتهم الدينية[14] .

وتميزت العمارة الدينية الإغريقية بكثرة المعابد وتنوعها وسوف تحاول الباحثة إلقاء الضوء باختصار على بعض منها للإيضاح وليس للحصر : –

معبد البارثينون / يُعد من المعابد القديمة، بُني على جبل يسمى (الأكروبولس)، في الفترة ما بين 432 و447 ق.م.، يطل على أثينا، صممه المهندسان الإغريقيان (اكتينوس و كاليكراتس)، وأشرف على أعمال النحت النحات (فيدياس)، وفي حوالي عام 500 م تحول المعبد إلى كنيسة نصرانية، وبعد استيلاء القوات التركية المسلمة على المدينة في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي حُوّل المعبدُ إلى مسجد، وبناه البارثينون من

الرخام البنتيلي، وهو رخام أبيض استمد من هضبة (بنتليكس) التي تبعد عن أثينا ب 18كم، فشكله مستطيل، ويبلغ طوله 72م وعرضه 34م وارتفاعه 18م، يشتمل البارثينون على مساحة مركزية مغلقة تسمى السلا، أي المقدس، قُسّمت إلى غرفتين ضمت إحداهما تمثالاً ضخمًا لأثينا من الذهب والعاج، بينما استخدمت الأخرى مستودعًا للتخزين، ويحاط السلة بستة وأربعين عمودًا من الطراز الدوري من الجهات الأربعة، وقد زُيّن البارثينون بالمنحوتات اللامعة التي كانت تملأ نهايتي السقف المثلثتين، بحيث زُينت الناحية الشرقية بمناظر توضح ميلاد أثينا، بينما عرضت الناحية الغربية مناظر للحرب الأسطورية بين أثينا وإله البحر (بوسيدون)، واصطفت حول قمة الجدار الخارجي فوق الأعمدة سلسلة من اللافتات المنحوتة سميت الميتوبات، رسمت عليها مناظر للمعارك الأسطورية وحرب طروادة .

معبد أرتمس / وهو يعد من أكبر المعابد أنشئ عام 358 ق . م، ثم حُرق وتم ترميمه، ومن أهم ميزاته الضخامة وظهور تماثيل لأشخاص بكامل حجمها الطبيعي محفورة على بدن الأعمدة أعلى القاعدة مباشرة، معروف باسم معبد العصر الهليني، كان مخصصاً لخدمة القساوسة المتميزين رجالا ونساء وكذا الشعراء والخطباء، نقلت بعض آثاره المعمارية المختلفة وخاصة الأعمدة الثمانية الخضراء الداكنة إلى كنيسة أيا صوفيا بالقسطنطينية، وتوجد بعض آثاره بالمتحف البريطاني الآن .

معبد الأركيزيون / يقع على هضبة الأكروبول شمال البارثينون، حُوّل إلى كنيسة أيام حكم جستنيان، ثم بعد ذلك خُصّصَ جناحٌ للحريم في عهد الأتراك، وهُدِمَ جزءٌ كبير منه أيام الثورة الإغريقية، وموقعة ليس مستويا ولذلك لم يكن المعبد معروفاً ببساطة البناء كما في المعابد الإغريقية، وأهم معالمه البهو الجنوبي، فالثكنة محملة على ستة من التماثيل بدلا من الأعمدة، وتسمى هذه التماثيل بالمحملات أو الكرياتيد، ويتميز المعبد بالتفرد في نوعه حيث استُعملتْ فيه الأنظمةُ الثلاثة للأعمدة، الأيوني، والدوري، والكورنثي .

معبد الثيزيون / أنشئ على قاعدة من درجتين فقط، والمعبد من النوع ذي الرواق المحيط سداسي الأعمدة وبه ثلاثة عشر عمودا على كل من الجانبين البحري والقبلي، ولا يزال هذا المعبد محتفظا برونقه حتى الآن، ويعتبر من الأمثلة الجميلة للطراز الدوري، ومقام على ربوة صناعية من الحجر الجيري .

معبد أبوللو / سداسي الأعمدة وبه خمسة عشر عمودا على الجانبين مكونة من اسطوانات من الحجر الجيري الرمادي، وهو من النوع ذي الرواق المحيط، كما يمتاز عن باقي المعابد الأخرى بوجود الطرز المعمارية الإغريقية الثلاث، ويوجد به النظام الدوري

للواجهات، والأيوني بالداخل على هيأة أعمدة متصلة، واستعمل عمود كورنثي واحد داخل المعبد، وتصنف المعابد الإغريقية إلى ثلاثة طرز هي : الدوري، والأيوني، والكورنثي، وذلك تبعا إلى الأعمدة التي شيدت بها [15].

العمارة الدينية الرومانية /

للمعابد الرومانية أهمية كبيرة في العصور الأولى للحضارة الرومانية، لأن طبقة الكهنة كانت هي المؤثرة في الفكر الديني والسياسي، لتؤكد بذلك سيطرة السلطة الدينية كسلطة مهيمنة في المجتمع الروماني بخلاف الفترات اللاحقة من فترة الحكم الروماني الإمبراطوري، أما الديانة الرومانية كانت عبارة عن عقائد متنوعة، نتيجة كون الشعب الروماني خليط من الأجناس المختلفة الأصل، ولكن الديانة السائدة التي تجمع معظم الأجناس هي الديانة الاتروسكانية، والفكر الديني الروماني هو جزء مهم من نسيج التكوين الاجتماعي للمدينة الرومانية، والعبادة الإلهية هي جزء من سياسة الدولة الرومانية، لذا اتخذت المعابد الرومانية توجهين في المخطط الأفقي، وهو المسقط المستطيل والمسقط الدائري بالاعتماد على الإلهة المعبودة، فكل معبد تبرز فيه درجة الإلهة الدينية من خلال أهميته وطراز تكوينه المعماري، واتسمت عمارة المعابد الرومانية بالطابع النصبي لإظهار الرغبة الشخصية للإمبراطور، الذي ينشئ معبدا خاصا به لاغراض تخليد عهد حكمه وتخليده الذاتي من خلال كتلة المعابد البنائية وحسب التوجهات الفكرية للمجتمع الروماني في تقديس ذات الإمبراطور، من أشهر المعابد في روما ذي المسقط المستطيل معبد فينوس ومعبد البانثيون ذو المسقط الدائري، وتعد الأضرحة الرومانية من أهم معالم العمارة الدينية، إذ صُنفت إلى خمسة تصنيفات معمارية وهي القبور العامة التي تنتشر على طول الشوارع الرئيسية المؤدية إلى مركز المدينة وتنتشر حول المدينة، حيث اتخذت الطابع النصبي لإعطاء الرمزية والتعبيرية لقوة المدن الرومانية، وتعبر كذلك عن إيديولوجيات المجتمع الروماني في احترام الموت، واعتمدت على الأقبية كعناصر تكوينية لهذا الطراز، أما النوع الثاني من الأضرحة فهي الأضرحة النصبية وهي تركيب معماري مكرر في العمارة الرومانية، تتميز بكونها كتلة اسطوانية كبيرة ترتكز على قاعدة مضلعة وتنتهي بتاج حجري، وهذه الأضرحة تمثل معظم الأضرحة الإمبراطورية كتراكيب معمارية ذات سمة مميزة في العمارة الرومانية، منها ضريح (أغسطس وهادريان)، أما النوع الثالث من الأضرحة هو الهرمية ومنها ضريح (كاستيوس)، والنوع الرابع من الأضرحة على شكل المعبد أو المدافن

العائلية ويمثل النوع الخامس من الأضرحة التذكاريات النحتية وهي ذات الأشكال المتنوعة[16].

عندما غزى الرومان المدن اليونانية في إيطاليا حوالي ثلاثمائة سنة قبل الميلاد، ومن ثم مقدونية وقرطاج، واجه الحكم الروماني مشكلة تضمنت وحدة التفاوت الثقافي من الإسبانية إلى اليونانية والمقدونية إلى القرطاجيين، وبذلك توسع الحكم الروماني عبر نطاق العالم وشكلت الثقافات التي لا تعد ولا تحصى تحديًا جديدًا وإحدى الطرق للنظر إلى وحدة العمارة الرومانية، من خلال إدراك جديد للنظرية المشتقة من الممارسة، حيث تقدم المباني نفسها عبر واجهاتها كتمثيلات داخل الفضاء، وبما أن الرومان اختاروا تمثيلات القداسة على الأماكن المقدسة الفعلية للمشاركة في المجتمع، فقد تم فتح الطبيعة التواصلية للفضاء التي لم يكن أي منها ممكنا بدون تقدم الهندسة الرومانية والبناء، وأعطت الاختراعات مثل القوس والخرسانة، شكلاً جديدًا تمامًا للهندسة المعمارية الرومانية، حيث أدخلت حيزًا ممتلئًا في القباب المشيدة والأعمدة، وكان هذا أيضا استجابة للمناخ الاجتماعي المتغير الذي طالب بمباني جديدة بها الكثير من التعقيد المتزايد، حيث استخدم الرومان على نطاق واسع القناطر والقبو والقبة، وتم بناء العديد من المباني العامة التي لم يسبق لها مثيل في جميع أنحاء الإمبراطورية بما في ذلك المعابد الرومانية، التي سمحت القباب ببناء سقوفها المقببة ومكنت من تغطية مساحات كبيرة من فراغها[17].

أما المعابد الرومانية القديمة فتتخذ الكثير من الأشكال والأنواع والتصميمات، فبعض المعابد الرومانية تم بناؤها على شكل منفصل أو على هضبة مرتفعة، وهناك العديد من المعابد الرومانية التي من أشهرها : –

معبد البانثيون / وهو احد أفضل المباني الرومانية المحفوظة، تم بناؤه في روما عام 126 ميلادي لجميع الآلهة الرومانية، ثم أصبح كنيسة للروم الكاثوليك في القرن السابع وبه الكثير من الأعمدة الجرانيتية الضخمة .

معبد بعلبك / يقع في الشمال الشرقي للبنان، وتم بناؤه في القرن الثامن قبل الميلاد، وخصص المعبد الروماني القديم لباخوس (ديونيسوس) اله الخمر الروماني، واليوم يعد احد مناطق الجذب السياحي للبنان .

معبد ميزون كاري / تم بناؤه في ليم بفرنسا في القرن السادس عشر قبل الميلاد على يد الجنرال الروماني ماركوس، وخصصه لوالديه اللذين توفي في فترة الشباب، وهو احد

أفضل المعابد الرومانية التي تمت المحافظة عليها في العالم، وتم تحويله إلى كنيسة في القرن الرابع، ثم حول إلى متحف .

معبد بالميرا / يقع شمال دمشق وهو احد المعالم الأكثر شهرة وشعبية في سوريا، يقع على طريق القوافل التي تربط بلاد فارس بموانى البحر المتوسط، وهو موقع اثري ويهتم السياح بزيارته الى هذا اليوم .

معبد سبيطلة / هي مدينة رومانية قديمة تم الحفاظ عليها بشكل جيد إلى حد ما، تقع في منتصف غرب تونس، والمدينة تحتوي على ثلاثة معابد رومانية قديمة، كان الهدف من بناء المعابد الثلاثة لكي يتم تقديمهم للإلهة الرومانية القديمة، وتعتبر من أجمل المعابد الرومانية والأكثر شهرة [18].

العمارة الدينية الفرعونية /

لقد تعددت الآلهة في الدولة الفرعونية القديمة لانقسامها إلي عدة أقاليم قبل توحيدها علي يد الملك نارمر، فكان لكل إقليم إله خاص به تقدم له القرابين وتصنع له التماثيل وتقام له المعابد، رحب ملوك الفراعنة بتعدد الآلهة وذلك حتى لا تترك السلطة الدينية في كهنة إله واحد يمكن أن ينافسهم في الثراء والسلطان، ويمكن ذكر عدد من هذه الآلهة على سبيل المثال لا الحصر، الإله رع، الإله حورس، الإله أنوبيس، الإله أوزيريس، الإله خنوم، الإله بتاح، الإله تحوت، الإله حتحور، الإله آتون، ولقد ظل العنصر العقائدي يعمل عمله في فن الإنسان البدائي كما في الفن المصري القديم منذ أسرته الأولى، والدين لعب دوراً مهم في حياة الإنسان المصري القديم، فلم تكن هناك قوة تسيطر على حياته كما يسيطر الدين عليها، لأن الدين كان محاولة لتفسير الظواهر المحيطة بالإنسان وهو يصدر دائماً عن رغبة في المنفعة أو رهبة من المجهول والإخطار، بذلك كان الدين من العوامل المؤثرة في العمارة الفرعونية القديمة، لأن الفراعنة امنوا بالبعث بعد الموت وأدى هذا الايمان الراسخ بالحياة الأخرى إلى بناء المقابر الضخمة، ونتيجة لهذا المعتقد ولقصر الحياة الدنيوية فقد نظر المصريون إلى المباني المعيشية على أنها مؤقتة وأن المقابر هي التي تكون لها صفة الدوام [19].

تطور فن العمارة الدينية عند الفراعنة بطريقة مذهلة، وكان السبب الأول في ذلك هو معرفة المعماري القديم للعلوم الدنيوية، التي كانت تساعده على إخراج عمله بأجمل وأدق شكل مطلوب، فقد عرف المعماري القديم علوم البناء مثل طرق التفريغ الهوائي بين الأحجار المستخدمة في بناء، كما هو في الهرم الأكبر، وأخترع البكرات التي من خلالها يتم رفع

الأحجار التي كانت تزن أطنان ووضع الحجر فوق الآخر، وتعد المصاطب والأهرامات في الدولة القديمة واهم المنشآت التي شيدت تمثل العمائر الجنائزية، وأول هرم بناه الفراعنة هرم زوسر ثم هرم ميدوم وتعد أهرامات الجيزة الثلاثة التي أقيمت في عهد الأسرة الرابعة، في عصر الدولة الوسطى بدأ انتشار المعابد الجنائزية، كما شيدت القلاع والحصون والأسوار على حدود مصر الشرقية، ويعد عصر الدولة الحديثة أعظم فترة عرفتها أساليب العمارة الدينية، التي تجسدت في بعض المعابد الضخمة المتنوعة التصميمات كالكرنك والأقصر وأبو سمبل ومعابد آمون والرمسيوم وحتشبسوت بالدير البحري، والمعابد المنحوتة في الصخر مثل أبو سمبل الكبير وأبو سمبل الصغير، أما المسلات الفرعونية فقد كانت تقام في ازدواج أمام مدخل المعابد وهى منحوتة من الجرانيت، بلغ الفراعنة ذروة حضارتهم في عصر الدولة الحديثة، وبعد ذلك دخلت البلاد في فترة انحدار بطيء، هوجمت فيه من قبل العديد من القوى الأجنبية، وانتهى حكم الفراعنة رسمياً حين غزت الإمبراطورية الرومانية مصر وجعلتها إحدى مقاطعاتها [20].

واقتصرت العلوم في الحضارة الفرعونية القديمة على الكهنة فقد كانوا يقومون بوضع الخطط والرسومات والخرائط ومن خلال المهندسين والعمال يتم تحويل تلك الخطط والرسومات والخرائط إلى شيء ملموس ومن أمثلة ذلك تلك الأهرامات والمسلات والمعابد والمقابر التي أنشئت من ألاف السنين وما زالت باقية إلى الآن، تتألف المعابد الدينية الأولى من واجهة ذات باب ينفتح على بهو عريض متصل بسبع قاعات عبارة عن مصلى، لم يتبقى من هذه المعابد إلا واحد في مدينة مادي، وهناك نوعان آخران من المعابد الدينية منها معابد منبسطة على غرار معبد آمون الكبير، ومعابد أخرى منحوتة بالجبل على غرار معبد أبي سنبل الكبير، ويوجد بالمعبد ما يعرف بالصرح ويتوسط هذا الصرح مدخل المعبد الرئيسي، وهو بناء جداري ضخم يرتفع 44 متراً وعرضه 113م وسماكة قاعدته 15م، ويقل سمكه تدريجياً مع الارتفاع، وعلى صفحة الجدار نقوش غائرة وكتابات هيروغلافية تشير إلى الأعمال والانتصارات الحربية، جرت العادة أن تقام مسلتان أمام جانبي الصرح وفي معبد آمون عُثر على مسلة لتحتمس الأول وأخرى لحتشبسوت ارتفاعها 33,20 م وهي أطول مسلة موجودة، وفناء المعبد مكشوف من الوسط ومسقوف من الجانبين على صف من الأعمدة، وفي الوسط صفان أخريان من الأعمدة البردية بارتفاع 21 م وقطر 2,7 م على امتداد صفي الأكباش، ثم الحجرة المقدسة وهي حجرة مظلمة لا يدخلها النور إلاّ من بابها وفيها تمثال الإله الذي أقيم له المعبد، ومن أمثلة العمارة الدينية :-

معبد أبي سنبل الكبير / وهو منحوت في كتلة جبلية في أسفل الجنوب، وفي واجهته أربعة تماثيل ضخمة تمثل رمسيس الثاني جالساً بجانبه بعض زوجاته وأبنائه وبناته، ترتفع واجهته 33 م وتمتد أفقياً 38 م، ويبلغ ارتفاع كل من التماثيل 20 م، يتوسط واجهته باب صغير يؤدي إلى بهو الأعمدة الذي تزينه أعمدة تلتصق بها تماثيل الملك على هيئة أوزيريس، وزينت الجدران والسقف برسوم الصقر المجنح أو النجوم المتلألئة، ومن ثم إلى بهو ثانٍ نقشت على أعمدته رسوم رمسيس الثاني وبعد ذلك إلى الحجرة المقدسة (قدس الأقداس)، التي على امتداد 63 م من مدخل المعبد .

معبد الشمس / وهو معبد مفتوح إلى السماء، يتألف من جدار محيط على شكل مستطيل، وفي الجهة الجنوبية تنتصب مسلة نقش عليها رمز الشمس، ويتصل المعبد بطريق حجري بقاعة في المدينة، وفي الغرب خارجاً عن السور يتصل بحفرة جداريه بيضاوية (تعتبر مركب الشمس) .

معبد آمون الكبير(الكرنك) / إمتداد مباني هذا المعبد حوالي 350م، واتجاهه من الغرب إلى الشرق، ويتضمن صفين متوازيين من الأكباش، وهي تماثيل تعادل ثلاثة أضعاف حجمها الطبيعي، لها رؤوس أكباش وأجسام الأسود، تمثل الإله آمون رع، ويبلغ طول هذا الممشى 72م وعرضه 13م وفي كل صف 20 تمثال[21] .

العمارة الدينية البيزنطية /

قامت العمارة الدينية في الحضارة البيزنطية على أثر العمارة الوثنية قبيل عهد جستنيان، واستغلت المعابد الوثنية القديمة وبقاياها في تشييد الكنائس المسيحية، وكان العابدون في حاجة إلى تماثيل للمسيح ومريم العذراء لكي يقوى بها خيالهم، وإلى صور تخبر الناس الأميين عن قصة إلههم المصلوب، ولهذا كان اختلاف العمارة الدينية الجديدة اختلافا بسيطاً وجزئياً عن العمارة القديمة، فقد انتقل من الوثنية إلى المسيحية متانة البناء، وبساطة الشكل، وطرز البازيليكا المعمدة، ويظهر ذلك في كنيسة القديس بطرس الأولى، التي أنشأها نيرون على تل الفاتيكان، ولا يزال طراز البازيليكا من ذلك الوقت حتى الآن الطراز المحبب في الكنائس المسيحية، فكانت الأقواس فيه ترفع مباشرة من تيجان الأعمدة، وليس بينها وبين تلك التيجان عوارض، ومهد هذا الوضع السبيل إلى ظهور الطرز البيزنطية، والرومانية، والقوطية، وظلت كنيسة القديسة صوفيا ذروة المجد التي أحرزها فن العمارة البيزنطي، وتطور الفن المعماري إلى التصميم المسمى باسم الصليب اليوناني، الذي تكون فيه الأجنحة

العرضية مرتفعة ذات قبو شبه اسطواني ومسقفة مثل إيوان الكنيسة ومكان جوقة المرتلين، وزوايا الصليب غرفات تنخفض قليلاً عن باقي المبنى [22].

اعتبر الدين المسيحي هو الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية عام 323 م، وعلى اثر ذلك كان الطراز البيزنطي في العمارة هو التعبير الرسمي للأبنية العامة والكنائس والأديرة، ولكن سرعان ما دب الخلاف بين المسئولين في الكنيسة، بعد ما ظهر الانقسام السياسي بين الشرق والغرب في الإمبراطورية الرومانية، وكانت الكنيسة الغربية تزعم أنّ (الروح تتقدم وتتبع من الأب والابن)، بينما كانت الكنيسة الشرقية تقول (إن الروح تتقدم وتسير مع الأب فقط)، ونشأ عن هذه الخلافات المذهبية مغادرة بعض الفنانين والمهندسين الإغريق للبلاد، ورحلوا إلى إيطاليا ليزاولوا أعمالهم وفنهم المتحرر، ولهذا السبب نجد أن طرز العمارة البيزنطية في الشرق خالية من التماثيل المعبرة واللوحات الزيتية، عكس الطرز البيزنطية في الغرب التي تميزت بالعناصر المعبرة من تماثيل و لوحات زيتية ذات الألوان الزاهية الجميلة، العمارة الدينية ظهرت في القرن السادس الميلادي الذي تمثل في الكنيسة ذات الطراز البيزنطي، ويعتمد تخطيطها على الصليب الإغريقي المتساوي الأضلاع، وفيه قبة تعلو مركز تقاطع أضلاع الصليب الموجود داخل مربع، بالإضافة إلى أربع قباب أو أقبية فوق أجنحته الأربعة، وقد تجلى في الفترة الأولي التأثير اليوناني في المباني الدينية والمباني العامة ذات الطراز الكورنثي، وامتاز التخطيط البيزنطي للكنائس بأن له قباب وله خوارس، ويعد من الطرز المعمارية التي لاقت انتشاراً كبيراً في العالم المسيحي، ويعتبره العلماء البناء المفضل الذي يناسب بناء الكنيسة المسيحية، حيث انتشر سريعاً داخل وخارج حدود الدولة، ويكون هذا التخطيط مربعاً كما أنه يعتمد على التغطية بالقباب وأنصافها والأقبية، ثم أصبح على جوانب المربع ممر قصير يغطيه قبو، وأصبح مسطح الكنيسة على شكل الصليب، بذلك اتخذت كنائس هذا الطراز من شكل الصليب نمطا لمجل تخطيطها، بلغ الفن البيزنطي أقصي ازدهار له في كنيسة أيا صوفيا، إذ أن تخطيطها مربع الشكل يتوسط أضلاعه الصليب ويحيط بها أربعة ايونات في الجهات الأربعة، والمساحة الوسطى مغطاة بقبة شاهقة ترتكز على أنصاف القباب في الناحيتين الشرقية والغربية وتغطي كل من الإيوانين الشرقي والغربي، كما ترتكز هذه القبة في ناحيتها الشمالية والجنوبية على أقبية متقاطعةً [23].

لقد كانت القبة في بلاد الشرق ترمز إلى السماء، وبناء على ذلك اختار المهندس المعماري البيزنطي القباب والأقبية التي تتميز بها طرازهم، فقد اتخذ أهل بيزنطة هذا الرمز

عندما جعلوا من الكنيسة كونا مصغرا به قبة كبيرة تغطي رواقه الأوسط رامزة إلى السماء، وتتوسطها صورة المسيح، على الرغم من وحدة الطراز أو التصميم في عمارة العهد المسيحي المبكر في بيزنطة وروما، الذي اشتق مباشرة من تصميم البازيليكا الرومانية، إلا إن العمارة أخذت في التطور مع الزمن حتى ظهرت آثار الاختلاف الفكري في تصميم العمائر البيزنطية، فبينما واصل الغرب الاتجاه الروماني بتطبيق تصميم البازيليكا على الكنائس، التي تمثلت في كنيسة بصرى، وكنيسة عزرا بالشام، وكنيسة سان فيتالي، شرعت بيزنطة في استخدام الأخذ بالأساليب والعناصر الشرقية، باستخدام القباب والأقبية في تسقيف الحجرات المربعة والمضلعة الشكل مثل القاعات والمساحات المثمنة، وتظهر القباب على هيئة نصف كرة كاملة من الداخل، إذ تحاط القبة من الخارج بنطاق دائري عمودي قليل الارتفاع، فكان ذلك النطاق الاسطواني القليل الارتفاع بمثابة رقبة كاذبة بها شبابيك للإنارة يعلوها الجزء الباقي الظاهر من القبة، وانتشر استخدام المثلثات الكروية تبعا للتوسع في استخدام القباب وأنصافها منذ القرن الرابع،وتمثلت هذه الطرز في كنيسة سان مارك بمدينة البندقية، وكنيسة سان فرون في مدينة بريجو بفرنسا [24].

العمارة الدينية الإسلامية /

العمارة الدينية في الحضارة الإسلامية تجسدت في عمارة المسجد، الذي يعتبر الأساس الأول من أساسات إقامتها، وما يتبعه من مكملات أخرى من أماكن لحفظ القرآن الكريم وسبل للمياه وغيرها، وبناء المسجد بدأ بسيط بعيد عن التكلف والتعقيد، وكانت المساجد الأولى عبارة عن قطعة مربعة من الأرض يحيط بها سور، وتقام أعمدتها التي تحمل السقف من جذوع النخيل أو أعمدة منقولة من مباني أخرى، والمسجد لفظ إسلامي لم يكن معروف قبل ظهور الإسلام، وقد ظهر هذا الاسم مع ظهور الإسلام، ويقصد به المكان الذي يتعبد فيه المسلم ويسجد فيه لرب العالمين، بمعنى هو كلمة استخدمت للدلالة على أماكن العبادة الإسلامية، وكانت حياة العرب الأولى قبل الإسلام حياة بدوية قائمة على الترحال، بمعني ليست لهم الدراية الكاملة بالمعمار، لذلك استعان الخليفة الوليد بن عبد الملك بالأقباط في بناء مسجد دمشق، وكذلك في المسجد الأقصى، وفي مسجد المدينة في عهد عمر بن عبد العزيز [25].

أما عمارة المسجد فكان يقام بجانبها الأسواق والمتاجر ويتجمع حوله الباعة والتجار، كما أن للمسجد أهمية كبرى في حالة الحرب، حيث كانت تعقد فيه الألوية للجهاد، ويتم فيه تشاور المسلمين في أمور دينهم ودنياهم، ويعد مجلساً للقضاء والعلم، ومن الجانب

السياسي كانت تتم فيه البيعة للخلفاء والأمراء، لذلك اهتم المسلمون بعمارة المسجد والمحافظة عليها والعناية بها، وكان من أعظم هذه المساجد وأكثرها تقديسا لدى المسلمين، المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي الشريف والمسجد الأقصى، والعمارة الدينية الإسلامية لم تسر على نمط واحد ولكن تنوعت أشكالها بتعدد البلدان والأماكن، فكل مكان يختلف عن غيره من الاماكن الأخرى حسب المناطق التي انتشر فيها الإسلام وثقافة شعوبها وتراثهم، وتنوعت العمارة الدينية الإسلامية في البناء إلى جانب المساجد فظهرت المدارس والأربطة والأضرحة [26][27].

اهتم المعماري المسلم ببناء عمارة المسجد وأبدع في تصميمه، والعناية بأهم عناصره مثل الصحن الذي يتسع لأكبر عدد من المصلين، وكان يحيط بالصحن المكشوف أروقة لحماية الناس والمصلين من حرارة الشمس، والرواق المواجه للكعبة كان أكثر عمقاً من باقي الأروقة الأخرى، لان حائطه يوجد به المحراب الذي يتجه إلى الكعبة وعلى جانبه المنبر، وقد أصبح المسجد النبوي بتخطيطه ذي الصحن والقبلة مع الأروقة نموذجا يحتذى به في بناء المساجد، من قبل المعماريين المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وقد أضيفت بعض التعديلات على عمارة المسجد التي أخذت من الطرز المحلية في كل إقليم من أقاليم العالم الإسلامي، ولكن ظهور التخطيط الأيوني في القرن الرابع عشر هجري الذي نتج عنه الصحن المكشوف المحاط بأربع ايونات متقابلة أصبح الطراز المعتمد كنواة لبناء المساجد في هذه الفترة، ثم ظهر طراز أخر في النصف الثاني للقرن السابع الهجري يتكون من قسمين، القسم الأول بيت الصلاة الذي تعلوه قبة ضخمة تحيط بها أنصاف قباب، والقسم الثاني عبارة عن صحن مكشوف تحيط به أروقة، ولم يمنع ارتباط العمارة بالعقيدة الإسلامية من تنوع فن المعمار الإسلامي تنوعاً كبيراً، نتج عن تنوع مفردات حضارات مدنه وعاداتهم ولغاتهم الممتدة من الصين شرقاً الى الأطلسي غرباً، حيث كان لكل نوع من العمارة مميزاته وانسجامه في الشكل والمضمون، مما أصبح من الصعب أن يتم الخلط في تحديد وظيفة المبنى من خلال شكله المعماري والوظيفي [28].

حرص المهندس المعماري الإسلامي على دراسة الهندسة، والرياضيات، والميكانيكا، لإيجاد تكامل بين عناصر العمارة الدينية الجمالية والوظيفية، وظهرت تقنية القبة وتم بناء قباب ضخمة ذات حسابات معقّدة وأقبية برميلية، وكذلك امتازت العمارة الإسلامية بطرز عقودها المختلفة حيث ابتدعت الهندسة المعمارية بناء العقود على هيئة حذوة الفرس والعقد المدبب والعقد المفصص، كذلك ظهرت المآذن بطرزها المختلفة حسب كل بلد

إسلامي، وكانت القباب من بداية ظهورها حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي صغيرة، واقتصر استعمالها لتغطية الأمكنة أمام المحراب، ثم انتشر استعمالها في الأضرحة، وكانت في بداية الأمر تقام على عقود زاوية، ثم يتم الانتقال من المربع إلى المثمن الذي تقام عليه القبة، وتعددت العقود وصغرت ونظمت في صفوف، ونشأت الدلايات المقرنصة التي انتشر استعمالها في جميع القباب في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، وأول مسجد زين بالقباب كان مسجد الحاكم بأمر الله، حيث احتوى المسجد على ثلاث قباب واحدة كبيرة أمام المحراب واثنتان صغيرتان، في طرفي جدار القبلة واحدة على اليمين والأخرى على اليسار، يجب الإشارة إلى أن الأقباط كانوا في مقدمة الشعوب الذين استخدموا القباب في كنائسهم نقلا عن الهنود، وان البيزنطيين اخذوا عنهم فن بناء القباب [29]. 1-

أما العقود في العمارة الإسلامية فقد اختلفت في أنواعها باختلاف البلدان الإسلامية، ويمكن الإشارة إليها باختصار، العقد ذو حذوة الفرس، وهو على شكل حذوة الحصان يرتفع مركز ارتكازه على عمودين ويكون قطاعه الدائري اكبر من نصف دائرة،والعقد الخماسي، ويتألف من قوس ودائرتين وهو مدبب الشكل، أما العقد المفصص، استعمل في بلاد المغرب الإسلامي ويتألف من سلسلة عقود صغيرة، والعقد المزين بالمقرنصات، استعمل في الأندلس وقصر الحمراء وبلاد المغرب، والعقد المدبب المرتفع، كثر استعماله في إيران وتوجد منه أمثلة في مساجد الشام ومساجد مصر . أبو صالح الألفي، مرجع سبق ذكره، ص 136 – 139 .

أما فيما يخص المآذن فقد كانت المئذنة الأولى تسمى بالمئذنة السُلّم، وهي عبارة عن درجات يصعد عليها المؤذن إلى سطح المسجد للأذان، وظهرت المئذنة في دمشق حين أقيم الأذان لأول مرة من أبراج المعبد القديم، الذي قام على أنقاضه المسجد الأموي فيما بعد، وتعتبر هذه الأبراج هي الأصل الذي بنيت على منواله المآذن الأولى في العمارة الإسلامية، في مصر والشام وبلاد المغرب، وبنيت المآذن الإسلامية الأولى على شكل مربع بما في ذلك الشرفة الأولى، ثم استمر الشكل المربع أو في بعض الأحيان على شكل ثمانيّ الأضلاع أو شكل دائري وتنتهي بقبة صغيرة، وكانت مآذن العصر الذهبي في الحضارة الإسلامية تقام على قاعدة مربعة ترتفع قليلاً أعلى سقف المسجد، وبعد ذلك تتحول على شكل ثماني الأضلاع ثم إلى الشرفة الأولى، ويحلى كل ضلع من هذه الأضلاع قبة صغيرة مزودة بأعمدة لها نهاية مثلثة الشكل، وفي الدولة العثمانية كانت المآذن من النوع

المخروطي على شكل القلم وهي دائرية القطاع، وتنتهي بشكل مخروطي، وغالبًا ما تكون لها شرفة واحدة [30].

النتائج : -

1- للدين فاعلية قوية في التأثير على فنون العمارة القديمة وانعكس ذلك على كل شيء في معالمها .

2- ارتباط فنون العمارة القديمة بالدين له تأثيرات ودلالات تميز طرز بنائها عن الفنون المعمارية الأخرى .

3- حققت العمائر الدينية بشكل خاص ما يرمي إليه الدين من نزعات روحية في كل عصر من عصورها المختلفة .

4- ارتبطت فاعلية توظيف فن العمارة للجانب الديني في اختلاف البناء بين عمارة دينية وأخرى حسب نوع الديانة .

5- تداخل الحضارات وانتقال العلوم والخبرات فيما بينها، أدى إلى تطور العمارة الدينية ثم تميزها بعد ذلك خلال العصور المختلفة .

التوصيات : -

1- عمل دراسات تحليلة ومسحية للكشف على معلومات لم يتم الكشف عنها في السابق، تتعلق بتأثير الأديان في فن العمارة وتتبعه خلال الحضارات المختلفة .

2- تضمين هذه الدراسات في مناهج التعليم بمراحله المتوسطة والثانوية، وضرورة تدريسها كمقررات دراسية لأقسام كليات الفنون المختلفة .

3- إقامة ورش عمل وحلقات نقاش علمية تهدف إلى توضيح دور الدين في الإنسان عبر ألعصور وتأثيره عليه في فن بناء عمارة المعبد والكنيسة والمسجد .

هوامش البحث:

(1) عامر سليمان، ص 123.

(2) جبران مسعود، ص369

(3) محمد أبى بكر عبد القادر الرازي، ص114 .

(4) جبران مسعود، مرجع سبق ذكره، ص1133 .

(5) محمد أبى بكر عبد القادر الرازي، مرجع سبق ذكره، ص254 .

(6) سلمان إبراهيم عيسى الخطاط، ص46 .

(7) جبران مسعود، مرجع سبق ذكره، ص564 .

(8) لويد، سيتون، ص 212.

(9) حسن الباشا، ص 21 – 40 .

(10) هويدة حسان كامل، ص 165– 173 .

(11) دي، لابورت، ص 149.

(12) عامر حنا فتوحي، ص 221–223 .

(13) عائد سليمان، ص 188–191 .

(14) نفس المرجع السابق، 193–197.

(15) نفس المرجع السابق، 205– 209 .

(16) ثروت عكاشة، ص 159 – 194 .

(17) عائد سليمان عارف، مرجع سبق ذكره، ص 276 – 280 .

(18) نفس المرجع السابق، ص 318– 320 .

(19) نفس المرجع السابق، 43– 64 .

(20) نعمت إسماعيل علام، ص 77 – 79، 89 – 90 .

(21) نفس المرجع السابق، ص 96 – 100 .

(22) محمد الشيخ، ص 10 .

(23) ستيفن رينسمان، ص 318 .

(24) عائدة سليمان، مرجع سبق ذكره، ص 384– 386 .

(25) سليم نجيب، ص 31 .

(26) كمال سامح، ص 105 .

(27) عبد الرحيم غالب، ص 381–383 .

(28) أسماء نيازي طاهر، ص85 .

(29) نفس المرجع السابق، ص 64 ؛ أبو صالح الألفي، ص 131– 135 ؛ جمعة احمد عطية قاجة، ص 60 – 61 .

(30) أنور الرفاعي، ص88 – 94 ؛ ثروت عكاشة،ص 119 – 128.

المصادر

1- جبران مسعود / الرائد (معجم لغوي)، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1964م .

2- محمد أبو بكر عبد القادر الرازي / مختار الصحاح، دار عمار عمان، ط 9، 2005م.

3- لويد سيتون / اثأر بلادي الرافدين و العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، ترجمة، محمد طلب، دمشق، 1993م .

4- سلمان إبراهيم عيسى الخطاط / الفن البيئي، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر الموصل، الطبعة الأولى، 1990 م .

5- دي لابورت / بلاد ما بين النهرين كحضارتان البابلية والأشورية، ترجمة، محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2 ، القاهرة، 1995م .

6- عامر حنا فتوحي / الكلديون (الكلدان منذ بدء الزمان)، اتيليه آي، ط 2، 2007 م .

7- عامر سليمان / العراق في التاريخ القديم الحضاري، كلية الآداب الموصل، دار الكتاب للطباعة، ج،2 1993م .

8- نعمت إسماعيل علام / فنون الشرق الأوسط والعالم القديم، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط2، 1975 م .

9- حسن الباشا / تاريخ الفن في العراق القديم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956 م .

10- ستيفن رينسمان / الحضارة البيزنطية، ترجمة، عبد العزيز أجاويد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 1997 م .

11- محمد الشيخ / تاريخ الإمبراطورية، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 1994م .

12- عبد الرحيم غالب / موسوعة العمارة الإسلامية، جروس بريس، بيروت لبنان، 1982م.

13- عائدة سليمان عارف / مدارس الفن القديم، دار صادر، بيروت لبنان، 1973 م .

14- كمال سامح / العمارة في صدر الإسلام، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1978 م .

15- يحيى وزيري / العمارة الإسلامية والبيئة، عالم المعرفة، 2004 م .

16- سليم نجيب / الأقباط عبر التاريخ، دار الخيال، ط1، 2000 م .

17- عبد القادر ريحاوي / العمارة العربية الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1979 م .

18- أبو صالح الألفي / الفن الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، 1984م .
19- جمعة احمد عطية قاجة / مهرجان العالم الإسلامي، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، 1976 م .
20- أنور الرفاعي / تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، دار الفكر، ط2، 1977 م .
21- ثروت عكاشة / الفن الروماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،المجلد الأول، جـ 10، بدون تاريخ .
22- ثروت عكاشة / القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، 1981 م.
23- أنصار محمد عوض الرفاعي / الأصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامي، جامعة حلوان، كلية التربية الفنية، قسم علوم التربية الفنية، رسالة دكتوراه منشورة، مكتبة الإسكندرية، ابريل 2003 م .
24- إيمان محمد عيد / المضمون الإسلامي في الفكر المعماري، جامعة القاهرة، كلية الهندسة، قسم الهندسة المعمارية، رسالة دكتوراه غير منشورة، 1993 م .
25- أسماء نيازي طاهر / الظواهر المشتركة في فن عمارة المساجد (دراسة استقرائية مقارنة للمحور في الأبنية الدينية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة بغداد، 1994م .
26- حفصة العمري / عمارة المساجد في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 1988م .
27- هويدة حسان كامل / سمات وأنماط العمارة الدينية في العراق القديم (الزقورة أنموذجاً)، جامعة سامراء كلية الآثار، قسم ألآثار مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، المجلد 3، العدد6 ، السنة الثالثة، تشرين الأول 2016 م .
28- أكرم محمد عبد كسار / فن العمار ببابل في عصر نبو خذ نصر، جامعة بابل، كلية الآداب، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 16، لسنة 2014 م .